التفسير الموضوعي لسورة المنافقون

إعداد: د. ليلى بنت محمد سليمان العقيل
أستاذ التفسير وعلوم القرآن
بقسم الدراسات الإسلامية
كلية الآداب – جامعة الأميرة نورة
المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

الملخص:

يهدف البحث إلى بيان تفسير سورة (المنافقون) تفسيرًا موضوعيًا؛ لبيان صفات المنافقين على مر العصور، وكيف أن الله –تعالى– نبذ النفاق والمنافقين، وحذر المؤمنين من خدعهم ومكرهم، وبين –تعالى– في السورة الكريمة أنهم ذوو لسان حلو معسول الكلام؛ ليوقعوا المؤمنين فيما ينافي العقدية، بأن يفتنوهم عما أنزل الله، كما بينت السورة الكريمة مدى تكبر المنافقين واستعلائهم، ولكن الله – تعالى– رد كيدهم في نحورهم، وبين أن العزة لله ولرسوله.

ولقد ابتدأت بالحديث عن السورة الكريمة، متناولة بيان اسم السورة، وسبب تسميتها بذلك، وسبب نزولها، وفضائلها، ومناسبات السورة، وقسمت العمل في البحث إلى مقطعين: تناولت في الأول الحديث عن المنافقين، وما ورد فيهم من أقوال المفسرين، مفسرة السورة تفسيرا إجماليا موضوعيا، فقد تناول المقطع الأول من السورة ثلاث موضوعات، هي: ذم النفاق والمنافقين، واستكبار المنافقين وعنادهم، وثالثًا الدسائس والمكائد للمؤمنين، وفي المقطع الثاني توجيهات الله –

تعالى– للمؤمنين، وتحصينهم من الوقوع في النفاق، وفي نهاية كل من المقطعين بينت ما يستفاد من الآيات الكريمة على وجه الإجمال.

Abstract:
The aim of the research is to explain the interpretation of Sura (Monafekon) objectively, to show the qualities of hypocrites throughout the ages, and how God renounced hypocrisy and hypocrites, and warned the believers of their deception and cunning, and between the Almighty in the Holy Surah that they have a sweet, sweet tongue to sign the believers while denying the nodal to disorder them from what God has revealed, as the Holy Surah has shown how great and arrogant the hypocrites are, but God has returned their cunning in their way and that the pride of God and his Messenger.
And I started talking about the noble surah, and the reason for naming it, the reason for its descent and virtues, and the occasions of the Surah, and divided the work in the research into two sections, which dealt in the first with talk about the hypocrites and the sayings of the interpreters, explaining the surah in a total explanation Objectively, the first section of the Surah dealt with three topics: the vilification of hypocrisy and hypocrites, the arrogance and stubbornness of hypocrites, and thirdly the intrigues and machinations of the believers, and in the second section, God's directives to the believers and their fortification from falling into hypocrisy, and at the end of Each of the two sections showed what is used in the holy verses in general.

المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على من بعثه الله سراجًا منيرًا، ومبشرًا للمؤمنين بأن لهم من الله فضلًا كبيرًا.

أما بعد:

فإن تفسير القرآن الموضوعي يعد نوعا من أنواع التفسير المترسخة أصوله ومناهجه قبل نصف قرن من الزمن، فقد أصبح هذا النوع من أنواع التفسير بجانب الأنواع الأخرى للتفسير يشغل حيزا في الدراسات القرآنية المعاصرة، ولقد حظي هذا اللون من ألوان التفسير باهتمام الباحثين.

ولقد أردت أن أدلي بدلوي بعمل يسهم –ولو بقطرة في بحر هذا العلم، فقمت بتفسير سورة (المنافقون) تفسيرًا موضوعيًا.

فمعلوم أن الإنسان متى ما وفقه الله –تعالى، وهداه إلى الدخول في الإسلام؛ فإنه قد تخطى بذلك عقبة كئودا في طريقه إلى رضوان الله – عز وجل، حيث قال –تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾.

وبعد الدخول في الإسلام، ستكون هناك عقبة أخرى لا بد لكل مسلم أن يتجاوزها؛ لكي يتم إيمانه، وهى التي جاءت في قوله –تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾، وهذه العقبة هي عقبة الريبة والشك التي إن توقف عندها المسلم وقع في النفاق دون أن يشعر، ومثله في ذلك كالطالب الذي تم قيده في إحدى كليات الجامعة، فهو منتسب إليها، ولكنه لا يواظب على حضوره فيها، ولا يستعد لاختباراتها فهو وإن كان منتسبا إليها، كان كمن هو خارجها؛ لأنه لا يهتم بأمور دراسته بها، ومن هنا فقد راودتني فكرة تأليف هذا البحث منذ أشهر عديدة، عندما لاحظت عدم اهتمام أغلبية المسلمين في هذا الزمان بأمور عقيدتهم عامة، وبحقيقة النفاق بصفة خاصة، وتربى على ذلك الصغير، وهرم على جهلها الكبير، وسبب ذلك الاكتفاء بالمناهج الدراسية التي لم تتناول هذا الموضوع بالدراسة والتحليل اللازمين.

وتتجلى صفات النفاق في سورة المنافقون، وهي من السور القصار، والتي تقع في الجزء التاسع والعشرين من القرآن الكريم، وسوف أقوم بتفسير سورة المنافقون تفسيرًا موضوعيًا.

أهمية البحث:

إن هذا الموضوع (التفسير الموضوعي لسورة المنافقون) لهو باب وطريق من طرق الحصول على الأجر والثواب، والتقرب إلى الله العزيز الوهاب، إضافة إلى ما نراه اليوم من أحداث تبرز، وتبين لنا الصديق من العدو، فنجد اليوم من يحاول

الطعن والنيل منّا، يشبه في ذلك المنافقين في عهد النبي –صلى الله عليه وسلم، فأحببت أن أبرز صفات المنافقين الواردة في سورة (المنافقون)، وأبين ذم الله – تعالى– للنفاق والمنافقين في ضوء هذه السورة الكريمة.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى عدد من الأهداف، أبرزها:

- بيان ذم الله –تعالى– للنفاق والمنافقين في سورة سميت باسمهم؛ تخليدا لذمهم، وإظهارًا لمساوئهم.
- تفسير السورة تفسيرًا موضوعيًا يبين هذه الصفات.
- بيان تحذير الله –تعالى– للمؤمنين من أن يوالوا المنافقين؛ لئلا يصيروا إلى ما يصير إليه المنافقون من خلودهم في الدرك الأسفل من النار.
- بيان المناسبات بين مقاطع السورة بعضها البعض، وبين مضمون السورة الكريمة وسورة الجمعة، وإبراز ما بينهما من مفارقات تفسيرية.

منهج البحث:

١– عزو الآيات الكريمة إلى مواضعها في القرآن الكريم، مع وضع الآية بين قوسين مزهرين، ثم يذكر اسم السورة، ورقم الآية.

٢– تخريج الأحاديث بذكر اسم المصدر، والكتاب الذي ورد فيه الحديث وبابه، مع ذكر رقم الحديث، وموضع وروده في المصدر.

٣– الالتزام بذكر الأحاديث الصحيحة والحسنة في التفسير، وأسباب النزول، وغيرها.

٤– توثيق الأقوال والمنقولات بالإشارة إلى اسم الكتاب، ثم المؤلف، ثم الجزء، والصفحة.

٥– ترقيم الحواشي يكون بأرقام متسلسلة لكل صفحة على حدة.

٦– الالتزام بعلامات الترقيم، وقواعدها الموضوعة لها.

خطة البحث:

ينتظم هذا البحث في **مقدمة** تشتمل على أهمية الموضوع، وأهدافه، ومنهجيته، وتقسيماته.

المبحث الأول: بين يدي السورة.

ويشتمل على:

أ) اسم السورة.

ب) فضائل السورة.

ج) مدنية السورة.

د) عدد آيات السورة.

هـ) محور السورة.

المبحث الثاني: المناسبات في السورة.

- المناسبة بين اسم السورة ومحورها.
- المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها.
- المناسبة بين السورة وسابقتها.
- المناسبة بين مقاطع السورة ومحورها.
- المناسبة بين مقدمة السورة ومحورها.

المبحث الثالث: الجانب التطبيقي للتفسير الموضوعي للسورة.

المقطع الأول: النفاق والمنافقون.

المقطع الثاني: توجيهاتٌ للمؤمنين.

الخاتمة: نتائج البحث.

فهرس المصادر والمراجع.

المبحث الأول

بين يدي السورة

تظهر السورة الكريمة حقيقة ما كان عليه المنافقون في عهد النبي – صلى الله عليه وسلم، فهم أعداء ماكرون، يتربصون بالمسلمين في كل وقت وحين، ويكيدون، ويدبرون لهم المكائد، ويتربصون بهم، هذا بحكم أنهم يتخللون الصف المسلم، متظاهرين بكونهم مسلمين، وهم في حقيقة الأمر يضمرون الكفر بين ضلوعهم، ويتغلغل الحقد في جوفهم، وعلى الرغم من ذلك فإنهم لا يستطيعون إخراج ما في صدروهم للعلن؛ بسبب جبنهم، وضعفهم عن المواجهة المباشرة مع المؤمنين.

كما يدفعهم هذا الجبن إلى أن يخدعوا، ويُلبسوا الأمور على المؤمنين، وهذا يبرر لهم ما يفعلون من كيد لدين الحق، وللمؤمنين.

ولعلنا نستطيع القول إن هؤلاء المنافقين في المجتمعات كالأمراض السرطانية التي تسري في جسد المرضى، فهم في زمن المحن والبلاء ينشرون سمومهم، وفي وقت الضيق والكرب يكشرون عن أنيابهم، فهم عالة في السراء، وفي الضراء كالسوس الذي ينخر في هيكل المجتمع، ظاهرهم الإيمان وحسن القول.

يبررون الضعف، ويتعللون بالأعذار في كل موقف، وهناك من المؤمنين من يسمع لهم، بسبب براعة تصنِّعهم، وحلاوة ألسنتهم الذلقة، وحسن الهيئة.

وهؤلاء المؤمنون منخدعون ببريق قولهم، وواثقون بغليظ أيمانهم، في حين أن سهامهم المسمومة مصوبة إلى صدور المؤمنين، يوجهون الضربات القاتلة لهم.

ومن أبرز الأمثلة والمواقف التي برز وظهر فيها حقد هؤلاء المنافقين ما كان منهم في غزوة بدر الكبرى، التي أعلى الله فيها شوكة المؤمنين، ودحر فيها كيد الكافرين، فعمد المنافقون إلى غمز المؤمنين بقولهم: ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡ﴾، فخاب ظنهم، وبطل مسعاهم بعد النصر المبين، وكذبت ظنونهم، وتبددت أحلامهم في هزيمة المؤمنين.

﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ [الأنفال: ٤٩].

وفي غزوة أحد ظهر كيد المنافقين ومكرهم، وغدرهم، وخسة أصلهم، ودناءة طبعهم، وسوء صنيعهم بالمؤمنين، حينما رجع كبيرهم عبد الله بن أبيّ بنِ سلولٍ بثُلُثِ الجيش مُغْضَبًا؛ معللًا ذلك بأن النبي –صلى الله عليه وسلم– لم يعمل بقوله، ولم يرجع إليه، وقام بإثارة الفتنة، قائلًا هو وأصحابه: لو علمنا أن القتال اليوم لكنا أول من اتبعكم، ولكننا لم نراكم تقاتلون.

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا ۖ قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّا اتَّبَعْنَاكُمْ ۖ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۚ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾ [آل عمران: ١٦٦-١٦٧].

ولما لم يجد المنافقون لأقوالهم أثرًا في تثبيط المؤمنين، وإثنائهم عن الجهاد في سبيل الله، ولم يجدوا لأقوالهم أثرًا كبيرًا على أرض الواقع؛ عمدوا إلى الأفعال لعلها تشفي صدورهم، وتطفئ نار الحقد في قلوبهم، فحينما احتشدت الأحزاب حول مدينة رسول الله –صلى الله عليه وسلم، واشتد الأمر بالمسلمين، قام المنافقون بممارسة دورهم في تثبيط عزيمة المؤمنين، وتخذيلهم، وقاموا باستغلال هذا الموقف في تشكيك المؤمنين، وبلبلة صفوفهم، فقال نفرٌ منهم: "قد كان محمد يعدنا فتح فارس والروم، وقد حصرنا ها هنا، حتى ما يستطيع أحدنا أن يبرز لحاجته، ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورًا"(١).

﴿وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ۚ وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا

(١) تفسير الطبري = جامع البيان، ١٩/ ٣٩.

﴿ٱلْفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾﴾ [الأحزاب: ١٣-١٥].

ولما عاد النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد صلح الحديبية فاتحًا على المؤمنين فتحًا مبينًا لهم، وللدعوة الإسلامية، قال كبير المنافقين: "أيظن محمد أنه إذا صالح أهل مكة، أو فتحها لا يبقى له عدوّ، فأين فارس والروم؟"(١)، وكانوا قد أشاعوا حين خروج النبي -صلى الله عليه وسلم- بأصحابه قاصدًا البيت الحرام: أن محمدًا خرج، ولن يعود!

﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾﴾ [الفتح: ١٢]

وعند عودة جيش الإسلام من غزوة بني المصطلق أشاع المنافقون الفتنة مرة أخرى بين صفوف المؤمنين، وأوقعوا بين المؤمنين من المهاجرين والأنصار، وبين الأنصار بعضهم بعض، وبين البدو والحضر من المؤمنين، فقد شملت فتنتهم هذه جميع المؤمنين في المدينة، كما اختلقوا حديث الإفك، ونشروه، وأذاعوه في المدينة، فاتهموا أم المؤمنين بنت الصديق عائشة -رضي الله عنها، وعن أبيها- في شرفها، ثم أنزل الله براءتها آيات تتلى إلى يوم الدين.

فبات واضحًا بعد أفعالهم مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم، ومع صحابته الكرام -رضوان الله عليهم- أنهم لا يكنون إلا الشر، ولا يريدون أن يحيق بالمؤمنين إلا الهزيمة، وليس لهم أمنية إلا خفوت أمر الدعوة الإسلامية واضمحلاله، فكان -ولا بد- أن تنكشف نفوسهم المريضة، وتتعرى، وتنكشف حقيقتهم للمؤمنين؛ لكيلا ينخدع بهم مؤمن، ولا يتبعهم طاهر القلب من المسلمين، فما من واقعة يكونون فيها بلاء على المؤمنين إلا والقرآن يقرعهم فيها؛ توبيخًا، وزجرًا، فمنهم من تاب وأصلح، ومنهم من هلك على نفاقه.

(١) تفسير المراغي، ٢٦/ ٨٧.

"فلم يترك القرآن الكريم من أخبار المنافقين في عصر النبوة إلا القليل النادر الذي لا أهمية له، بل إن القرآن قد ذكر من أخبارهم ما لم يذكره المؤرخون عنهم؛ لكون الكثير من أخبارهم أسرارا كانوا يخفونها عن المؤمنين"(١).

ولقد جاءت السورة الكريمة؛ لتبين لنا خبايا هؤلاء المنافقين، ونشر صفحة من صفحات تاريخهم المليء بالعداوة للمؤمنين عبر التاريخ، وما انطوت عليه سريرتهم الخبيثة، ومعادنهم الرديئة، إلى أن تختتم السورة بتحذير المؤمنين من أن يغتروا بزينة الدنيا، ومتاعها الزائل، وعدم التعلق بحطامها، والانشغال بها عن عبادة الله وحده؛ شأن المنافقين الغارقين في أوهامهم.

أ- اسم السورة:

سميت على اسم هذا الاسم؛ لأنها توضح صفات المنافقين في إخفاء الكفر وإظهار الإيمان، فضلا عن تسليطها الضوء على أهم المواقف التي تبرز عدم تصديقهم مع النبي -صلى الله عليه وسلم، ومن أجل تسليط الضوء على نموذج النفاق، وهو ابن سلول.

ب- سبب نزولها:

لقد ورد في كتب أسباب النزول والتفسير سبب لنزول هذه السورة، وهو قصّةٌ من القصص التي أظهرت نفاق بعض النّاس، وإيمانهم الظاهر، وما يخفون في قلوبهم من كفرٍ وحقد، فعن زيد بن الأرقم أنّه في يومٍ من الأيّام كان في غزوةٍ مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم، وكان معهم بعضٌ من الأعراب، وكانوا يسارعون إلى جلبِ المياه، وكان أحد الأعراب يسارع إلى ملء الحوض، ويجعل حوله حجارةً ويغطيه بقطعةٍ من الجلد؛ ليمنع غيره من الاقتراب منه(٢).

ثمّ جاء أحد الأنصار ليروي ناقته، فأبعد الحجر عن الحوض، ففاض الماء، فضربه الأعرابي بقطعةٍ من الخشب على رأسه وجرحه، فذهب الأنصاري إلى سيّد

(١) المنافقون في القرآن الكريم، د عبد العزيز عبد الله الحميدي، ص١٠

(٢) أسباب نزول القرآن، للنيسابوري، ص٤٥١.

المنافقين، وهو عبد الله بن أبيّ، وأمر أصحابه بألّا ينفقوا على مَنْ عند رسول الله –صلى الله عليه وسلّم– إلّا بعد أن يتفرّق الأعراب من حول رسول الله –صلى الله عليه وسلم، ثم قال لأصحابه: عندما نعود إلى المدينة سيخرِج منها الأعزُّ –ويقصد نفسه– الأذلَّ، ويقصد النبي محمدا –صلى الله عليه وسلم[١].

فسمع زيد بن الأرقم قول عبد الله بن أبي، فأخبر عمّه بذلك، فقام عمُّه بإخبار رسول الله –صلى الله عليه وسلم، وعندما استفسر النبي من عبد الله عن قوله حلف –أي: عبد الله، وأقسم أنّه لم يقل ذلك، فصدّقه رسول الله، وكذّب زيدًا، فلام العمّ زيدًا، وقال له: إنّك لم تحصّل من كذبك وافترائك سوى كُره رسول الله والمسلمين لك، ثمّ اكتشف رسول الله فيما بعد كذب عبد الله وصدق زيد، وقرأ بداية سورة المنافقون إلى أن وصل إلى قوله –تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ ٧﴾ [المنافقون: ٧][٢].

وقد جاء في روايةٍ أخرى أنّ رسول الله –صلى الله عليه وسلم– غزا بني المصطلق، فأقبل رسول الله مع أصحابه على حوض ماءٍ لبني المصطلق يدعى المريسيع، وكان معهم عمر بن الخطاب وأَجيرٌ له من بني الغفار، فاصطدم أجير عمر مع رجلٍ من الخزرج، واقتتلا، وكلٌ منهما نادى أصحابه، فجاء رجلٌ من المهاجرين –كان فقيرًا، وأعان الغفاري، فغضب عبد الله بن أبي منه.

فقال عبد الله بن أبيّ عندما ترجع إلى المدينة سوف يُخرِجُ الأعزُّ –ويقصد نفسه– منها الأذل، ويقصد رسول الله، ونهر قومه، ولامهم بمقاسمتهم لهم بلادهم، وقال: لا تنفقوا حتّى ينفضّوا من حول رسول الله؛ فسمع ذلك الكلام زيد بن الأرقم وأخبر به رسول الله، فسأل عبد الله إن كان ذلك الكلام صحيحًا، فأقسم بأنّه لم يقل

(١) أسباب نزول القرآن، للنيسابوري، ص٤٥٢

(٢) المصدر السابق، ص٤٥٣.

ذلك، فصدّقه رسول الله؛ فأنزل الله الآية السابقة في تكذيب عبد الله، وتصديق زيد(١).

ج-فضائل السورة:

وردت الكثير من الفضائل التي تحُثّنا على المداومة على قراءتها، والمواظبة عليها، ومن تلك الفضائل: أن النبي- صلى الله عليه وسلم - كان مواظبًا على قراءة تلك السّورة في صلاة الجمعة، وذلك حتى يُفتضح أمرهم، وأن يُحذّر المسلمين من مكائدهم وخداعهم؛ ولأن الصحابة كانوا يقتدون بالنبيّ؛ فكانوا يُداومون على قراءتها، والدليل على ذلك:

ما ورد عن بن عبد الله عباس -رضي الله عنهما- حين قال: **إنَّ النبيّ -صلى الله عليه وسلم- كانَ يَقْرَأُ في صلاة الفَجْرِ يَوم الجُمُعة: "الم تَنْزِيلُ" السَّجْدَةِ، "وَهلْ أَتَى علَى الإنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْر"، وَأنَّ النبيّ -صلى الله عليه وسلم- كانَ يَقْرَأ في صلاة الجُمُعة سُورَة الجُمُعَة، والْمُنَافِقِين"**(٢).

وما ورد عَنْ ابْنِ أَبِي رَافِعٍ قَالَ: "اسْتَخْلَفَ مَرْوَانُ أَبَا هُرَيْرَةَ ﷺ عَلَى الْمَدِينَةِ، وَخَرَجَ إِلَى مَكَّةَ، فَصَلَّى لَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ الْجُمُعَةَ، فَقَرَأَ بَعْدَ سُورَةِ الْجُمُعَةِ فِي الرَّكْعَةِ الْآخِرَةِ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾[المنافقون: ١]، قَالَ فَأَدْرَكْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ حِينَ انْصَرَفَ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّكَ قَرَأْتَ بِسُورَتَيْنِ كَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ يَقْرَأُ بِهِمَا بِالْكُوفَةِ؟ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: **إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقْرَأُ بِهِمَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ**"(٣).

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن الحكم الكندي عن أناس من أهل المدينة أرى فيهم أبا جعفر، قال: "**كان صلى الله عليه وسلم يَقْرَأُ في الْجُمُعَةِ**

---

(١) أسباب النزول، للنيسابوري، ص٤٥٣.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب ما يقرأ في يوم الجمعة، حديث رقم (٨٧٩)، ٥٩٩/٢.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب ما يقرأ في يوم الجمعة، حديث رقم (٨٧٧)، ٥٩٧/٢.

بسورة الْجُمُعَةِ والمنافقونَ، فأما سورةُ الْجُمُعَةِ: فيبشِّرُ بها المؤمنينَ ويحرضُهُمْ، وأما سورةُ المنافقينَ: فيُؤيِسُ بها المنافقينَ ويوبخُهُم بهَا"[١].

د- مدنية السورة:

هذه السورة مدنيةٌ نزلت بالمدينة، قال القرطبي: "سورة المنافقون مدنية في قول الجميع"[٢].

هـ-عدد آيات السورة:

عدد آيِها إحدى عشرة آية في عدِّ الجميع، بلا خلافٍ في شيء منها[٣].

و- محور السورة:

المحور الرئيس الذي تدور حوله السورة: ذم النفاق والمنافقين، والكشف عن مؤامراتهم، وفضحها، وبيانها للمؤمنين؛ لكي يحذروهم، ولا يتصفوا بصفاتهم الشائنة.

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الجمعة، باب ما يقرا في صلاة الجمعة، حديث رقم (٥٤٥٦)، ٤٧٢/١، والحديث رجاله ثقات، وإسناده صحيح .

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ١٢٠/١٨.

(٣) فنون الأفنان في عيون علوم القرآن، ص٣١٤.

المبحث الثاني

المناسبات في السورة

أولًا: المناسبة بين اسم السورة ومحورها:

إن المناسبة بين محور السورة واسمها جلي، وواضح من اسم السورة، فهي تدور حول ذم النفاق والمنافقين، وتحذير المؤمنين من أن يتصفوا بمثل صفاتهم أولًا، وأن يأخذوا الحذر والحيطة من أفعال المنافقين ثانيًا.

ثانيًا: المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها:

في بداية السورة الكريمة هناك حديث عن صفات المنافقين، وفي نهايتها تحصين للمؤمنين من أسباب النفاق ودوافعه، بما في ذلك الاغترار بالدنيا وزخارفها الزائفة، وتجاهل ذكر الله، والتباطؤ وتسويف التوبة، والتكاسل والتقاعس عن فعل الخير.

ثالثا: المناسبة بين السورة وسابقتها:

في ترتيب المصحف الشريف، تسبق سورة الجمعة هذه السورة (المنافقون) في الترتيب، والصلة بينهما واضحة جلية، فمن الدلائل على هذه الصلة، قراءة النبي –صلى الله عليه وسلم– بهما يوم الجمعة، فكان –عليه الصلاة والسلام– يقرأ في الركعة الأولى بسورة الجمعة، وفي الثانية بسورة المنافقون، مما يدل على ما بينهما من تلازمٍ، وترابط، سوف يتضحُ لنا فيما يلي:

- بينت سورة الجمعة أن الموت حقيقة لا شك فيها، وقدرٌ لا مفر منه، قال –تعالى– في سورة الجمعة: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٨﴾ [الجمعة: ٨]، وفي الآيةِ الكريمةِ تحدٍّ لليهود الذين يدَّعون أنهم شعب الله المختار، فهم عليهم لعائن الله –تعالى؛ لما زعموا أنهم أبناء الله، وأحباؤه، قالوا: لن يدخل الجنة إلا من كانوا يهودا، أو نصارى، دعوا إلى المباهلة والدعاء على أكذب الطائفتين منهم، أو

من المسلمين، لما نكلوا عن ذلك علم كل أحد أنهم ظالمون؛ لأنهم لو كانوا جازمين بما هم فيه لكانوا أقدموا على ذلك، فلما تأخروا علم كذبهم(١).

ونظير هذا قوله –تعالى– في سورة البقرة: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾[البقرة: ٩٤–٩٦].

- وفي سورة المنافقون: تذكير بالموت، والتنبيه إلى الحاجة إلى الاستعداد له، والمبادرة للقيام بعمل صالح قبل نهاية الأجل، قال –تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [المنافقون: ١٠–١١]، ففي ذكر الموت ترقيق للقلوب القاسية، وكبح، وتهذيب لجماح النفس البشرية.

وما تمكن اليهود في عصرنا هذا إلا بتآمر المنافقين، وكم تسربلَ يهودٌ بثياب النفاق، فأضمروا الكفر، وتظاهروا بالإسلام؛ كيدا، وتآمرا.

- في سورة الجمعة كان هناك حديث عن اليهود الذين هم الأكثر عداء للمؤمنين، ثم جاءت سورة المنافقون لتكشف عن عدو أخطر من اليهود، وكذلك ما بين الأعداء: اليهود، والمنافقين على مر العصور من التحالفات، وما كان التمكين ليهود عصرنا إلا بالتآمر مع المنافقين، وكم من اليهود خدعوا المؤمنين في ملابس النفاق، لذلك أضمروا الكفر، وتظاهروا بالإسلام، كمؤامرة وخديعة؛ لإفشال المسلمين، وإلحاق الضرر بهم.

(١) تفسير ابن كثير، ط العلمية، ١/ ٢٢٢.

- تكشف لنا السورتان عن كذب اليهود والمنافقين في مزاعمهم، فاليهود زعموا أنهم أولياء لله من دون الناس، والمنافقون ادعوا الإيمان؛ فجاءت سورة الجمعة مبينة لمزاعم اليهود، وتلتها سورة المنافقون تبين أكاذيب المنافقين، وتفضحُ أباطيلهم.
- هناك تلازم ظاهر، وترابط وثيق بين حديث الصلاة، والذكر، والإنفاق؛ ففي سورة الجمعة كان الحديث عن صلاة الجمعة، ودعوة سورة المنافقون إلى ذكر الله، والإنفاق في سبيله، وهذا ما فيه من الترابط والصلة الكثير.

قال تعالى في سورة الجمعة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠﴾ [الجمعة: ٩-١٠].

وقال -تعالى- في سورة المنافقون: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠﴾[المنافقون: ٩-١٠].

وبين الآيتين مناسبةٌ لطيفةٌ: فكم يحرص أعداء الإسلام على صرف انتباه الجماهير المسلمة عن قول الحقيقة، وقلقها من ذكر الله والصلاة، إما بالصفقات، والتسوق، والأرباح، وإما في التسلية والألعاب، بل كثر في عصرنا فنون الاستجمام، ووسائل المرح التي غالبا ما تصب في جيوب أعداء الدين وموازينهم، اليهود، والمنافقون، والنصارى، الحاقدون.

تسلط الآيات الضوء على مدى حرص أهل النفاق على تفريق أتباع النبي -صلى الله عليه وسلم، وإلهائهم عنه بتقييدهم، كما يحدث هذه الأيام من صرف انتباه الناس عن الدعاة، وتجفيف مصادر الخير، وإغلاق معاهد العلوم الإسلامية بحجة مكافحة الإرهاب، وتجفيف مصادره، وهي حربهم المعلنة على هذا الدين،

وكم عدد المدارس والمعاهد القرآنية التي أغلقت أبوابها عن المؤسسات الخيرية والتعليمية! لقد قطعوا الدعم عنه بحجة مقاومة الإرهاب!

فلا ينشغلُ أحدٌ عن طاعة الله بحجة انشغاله بالمطالبة بلقمة العيش قال – تعالى– في سورة الجمعة: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾﴾ [الجمعة: ١١]، ولا يخشَ على مصدر رزقه من مخلوق؛ إن مصدر الرزق بين يديه، وخزائنه ممتلئة، ولا يُنقصها الإنفاق، قال تعالى في سورة المنافقون: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾﴾ [المنافقون: ٧].

رابعا: المناسبة بين مقاطع السورة ومحورها:

يظهر من قراءة السورة الكريمة التناسب الواضح بين محورها العام ومقاطع السورة، فالسورة الكريمة متسلسلة بما يتلاءم مع محور السورة، ومقاصدها الشرعية.

خامسا: المناسبة بين مقاطع السورة بعضها مع بعض:

مقاطع السورة –كما بيَّنا– تنتظمُ في سلكٍ واحد، وتدورُ في فلَكٍ واحد، وهو ذمُّ النفاقِ والمنافقين، وتحذير المجتمع المسلم منهم، ولسوف يتجلى ذلك من خلال تأملاتنا في هذه السورة الكريمة.

مقاطع السورة كما أظهرنا منظمة في سلك واحد، وتدور في فلك واحد، وهو الذم، والتحذير من النفاق والمنافقين، وهذا سوف يتجلى من خلال تأملاتنا في هذه السورة الكريمة.

سادسا: المناسبة بين مضمون السورة ومضمون ما قبلها:

يتجلى التناسبُ بين موضوعِ السورتينِ فيما يلي:

- حديث سورة الجمعة عن اليهود، وحديث سورة المنافقون عن المنافقين.

- ذكر الموت في السورتين: فالأولى تتحدى اليهود أن يتمنوه إن كانوا صادقين في دعواهم محبة الله لهم، وزعمهم أنهم أولياؤه من دون الناس، والثانية تذكر بالموت، وتحثُّ على الاستعداد له، والمبادرة إلى صالح الأعمال قبل الموت.

قال –تعالى– في سورة الجمعة: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٨﴾[الجمعة: ٨]

وقال –تعالى– في سورة المنافقون: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠﴾ [المنافقون: ١٠].

- حديث سورة الجمعة عن صلاة الجمعة، ودعوة سورة المنافقون إلى ذكر الله، والإنفاق في سبيله.

سابعا: المناسبة بين مقدمة السورة ومحورها:

عندما بدأت السورة حول النفاق والمنافقين بدأت بمشهد مجيئهم مع الأكاذيب والخداع، واستدعاء الإيمان الزائف.

المبحث الثالث

الجانب التطبيقي للتفسير الموضوعي للسورة

المقطع الأول: النفاق والمنافقون:

قال –تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ۘ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ ۗ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ۝١ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝٣ * وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٤ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٥ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۝٦ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا ۗ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۝٧ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨﴾ [المنافقون: ١–٨].

سبب النزول:

أخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ ﷺ قَالَ: كُنْتُ فِي غَزَاةٍ، فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ يَقُولُ: لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِهِ، وَلَئِنْ رَجَعْنَا مِنْ عِنْدِهِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَمِّي، أَوْ لِعُمَرَ، فَذَكَرَهُ لِلنَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم، فَدَعَانِي، فَحَدَّثْتُهُ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم– إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ وَأَصْحَابِهِ، فَحَلَفُوا مَا قَالُوا، فَكَذَّبَنِي رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم، وَصَدَّقَهُ، فَأَصَابَنِي هَمٌّ لَمْ يُصِبْنِي مِثْلُهُ قَطُّ، فَجَلَسْتُ فِي الْبَيْتِ، فَقَالَ لِي عَمِّي: مَا أَرَدْتَ إِلَى أَنْ كَذَّبَكَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله

عليه وسلم، وَمَقَتَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ -تَعَالَى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾[المنافقون: ١]، فَبَعَثَ إِلَيَّ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم، فَقَرَأَ، فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكَ يَا زَيْدُ"(١).

وفي مسند الإمام أحمد من حديث زيد قَالَ: "وَدَعَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم لِيَسْتَغْفِرَ لَهُمْ، فَلَوَّوْا رُءُوسَهُمْ، وَقَوْلُهُ -تَعَالَى: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾: قَالَ كَانُوا رِجَالًا أَجْمَلَ شَيْءٍ"(٢).

المناسبة بين المقدمة ومحور السورة:

الصلة بينهما واضحةٌ جلية، حيث استهلت بمشهد أولئك المنافقين، وقد جاءوا بالكذب، والخداع.

التفسير الإجمالي:

الموضوع الأول: ذم النفاق والمنافقين:

في الآيات الكريمة إخبار من الله -تعالى- بما يدعيه المنافقون، وعلى رأسهم عبد الله بن أبي من إيمانهم بالله وبرسوله -صلى الله عليه وسلم، وبرسالته، في الوقت الذي يظهرون فيه الإيمان، ويبطنون الكفر، كما يخبر -تعالى- نبيه بأن تظاهرهم هذا ما هو إلا من قبيل الخداع والجبن عن المواجهة، ويخبرنا الله -تعالى- أن شهادتهم هذه لا يقصد بها وجه الله -تعالى، بل يقولونها مداهنة، وتغطية لما يكيدون به للمؤمنين، فلهذا السبب فضحهم الله -تبارك وتعالى، وبين كذبهم في ادعائهم الزائف.

قال -تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١﴾[المنافقون: ١].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير باب قوله -تعالى، الحديث رقم (٤٦١٧)، ورواه مسلم في صحيحه أول كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، الحديث رقم (٢٧٧٢).

(٢) ورواه الإمام أحمد في مسنده، ٤/ ٣٧٣، حديث ١٩٣٥٣، وإسناده صحيح على شرط الشيخين.

فالله –تبارك وتعالى– عليم بصدق نبيه –صلى الله عليه وسلم، وعليم بكذب المنافقين المتظاهرين بالإيمان، الذي محله القلب.

﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ٣ ﴾ [المنافقون:٢– ٣].

فقد جعلوا من أيمانهم درعًا، ووقاية؛ تمويهًا، وخداعًا للمؤمنين، وصدًا عن سبيل الله –تعالى، وفي قوله –تعالى: "جُنَّةً" بيان لإعدادهم وتهيئتهم لهذه الأيمان لاستخدامها وقت حاجتهم إليها، فهم يحلفون كاذبين؛ للتخلص من سيئ الفعال والأقوال التي من الممكن أن تنسب إليهم، لقد صدوا الناس عن الإيمان، والهجرة، والجهاد، وأعمال الطاعة، والاستقامة، بالتشكيك، والتصدي، والطعن، والشبهات التي نشروها في المجتمع الإسلامي.

وقد صورهم التعبير القرآني بدقة، وهم في حال القلق النفسي، حين استتروا بالأيمان الزائفة؛ لاعتبارهم أنهم في حرب دائرة مع المؤمنين.

﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٤ ﴾ [المنافقون: ٤].

"يقول –جلّ ذكره– لنبيه محمد –صلى الله عليه وسلم: وإذا رأيت هؤلاء المنافقين يا محمد تعجبك أجسامهم؛ لاستواء خلقها، وحسن صورها، ﴿وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ﴾ أي: وإن يتكلموا تسمع كلامهم يشبه منطقهم منطق الناس"(١).

"وقد كان عبد الله بن أبيّ رأس المنافقين فصيحًا، جسيمًا، جميلًا، وكان يحضر مجلس النبيّ –صلى الله عليه وسلم، فإذا قال سمع النبيّ –صلى الله عليه وسلم– مقالته، قال الكلبي: المراد عبد الله بن أبيّ، وجدّ بن قيس، ومعتب بن قيس، كانت لهم أجسام، ومنظر، وفصاحة"(٢).

(١) تفسير الطبري = جامع البيان، ط دار التربية والتراث، ٢٣/ ٣٩٥.

(٢) فتح القدير، للشوكاني، ٥/ ٢٧٥.

﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ يقول كأن هؤلاء المنافقين خُشُب مسنَّدة، لا خير عندهم، ولا فقه لهم، ولا علم، وإنما هم صور بلا أحلام، وأشباح بلا عقول"(١).

فهم في حضورهم مجالس النبي –صلى الله عليه وسلم– كالخُشب المسندةِ على جدارٍ، فوجودها كعدمها؛ إذ لا تفهم، ولا تعلم، وكذلك المنافقون يخرجون كما دخلوا، بل لا يزدادون إلا كفرا، وارتيابا فهم محجوبون عن الفهم الصحيح، محرومون من العلم النافع.

وجودها مثل العدم، كما أنها لا تفهم، ولا تعرف شيئًا، وكذلك المنافقون الذين يشبه حالهم عند الخروج حالهم عند الدخول في الإسلام، بل يزيدون كفرًا، وشكًا، ويمنعون من الفهم بشكل صحيح، ويحرمون من المعرفة المفيدة.

كما قال –سبحانه: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [التوبة: ١٢٤-١٢٧].

﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾: وذلك لِمَا جُبلوا عليه من الجبن والخَوَر، "يحسب هؤلاء المنافقون من خُبثهمْ، وسوء ظنهم، وقلة يقينهم – كلّ صيحة عليهم؛ لأنهم على وجل أن يُنزل الله فيهم أمرًا يهتك به أستارهم، ويفضحهم، ويبيح للمؤمنين قتلهم وسبي ذراريهم، وأخذ أموالهم، فهم من خوفهم من ذلك كلما نزل بهم من الله وحي على رسوله، ظنوا أنه نزل بهلاكهم وعَطَبهم" (٢)، كما قال الشاعر:

(١) تفسير الطبري = جامع البيان، ط دار التربية والتراث، ٢٣/ ٣٩٥.

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان، ط دار التربية والتراث، ٢٣/٣٩٥-٣٩٦.

ولــو أنَّهــا عُصــفُورةٌ لَحَسِــبْتَها مُسَــوَّمَةً تَــدْعُو عُبَيْــدًا وأَزْنَمَــا

أي: لو طارت عصفورة لحسبتَها –من جبنك– خيلا تدعو هاتَيْن القبيلتَيْن(١).

وذلك بسبب "هلعهم، وتخوفهم من كلّ ما يتخيَّل منه بأس المسلمين؛ لأنهم أعداء أَلِدّاءُ للمسلمين، ينظرون للمسلمين بمرآة نفوسهم، فكما هم يتربصون بالمسلمين الدوائر، ويتمنون الوقيعة بهم، مع تظاهرهم بالمودة، كذلك يظنون بالمسلمين التربص بهم، وإضمار البطش بهم، ويخشون في كل لحظة تمر بهم أن ينكشف أمرهم على نحو ما قال أبو الطيب:

إذا ساء فعلُ المرءِ ساءتْ ظنونُهُ وصــدَّق مــا يعتــادُه مــن تَــوَهُّم(٢)

وهذا النموذج من الناس لا ينقطع في جيل واحد، أو فصيل بعينه، إنه دائمًا هناك، إنه شجاع، وبليغ، وبارز أينما كان هناك أمن وازدهار وغنيمة، وهو جبان صامت مختفٍ أينما كانت الشدة والخوف، وهو شحيحٌ بخيل على الخير وأهل الخير، لا ينالهم منه إلا بذاءة اللسان!

﴿هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ﴾: فقد بينهم القرآن الكريم، وفضح مساعيهم الدنيئة، وكشف زيفهم، وأوضح للمؤمنين خبث نواياهم، وسوء طويتهم؛ كي يكون المؤمنين منهم على حذر وحيطة، فهم في كل العصور كالآفات التي تضر لا تنفع، وهم أصل كل بلاء على مر العصور، فعند البحث تجدهم خلف كل مصيبة تلم بالمؤمنين.

ولفرطِ عداوتهم ولشدة التحذير منهم جاء التعبير عنهم بالعدو " بلام الجنس"؛ للدلالة على شدة عداوتهم، وفداحة مخاطرهم، فكأنهم هم العدو الأول والأخير، أو اللام هنا للعهد الذهني؛ فإذا ذكرت العداوةُ فليتبادر ذكرُهم إلى الأذهان، فهم شرٌّ مستطيرٌ، ولا تغفل عنهم أيها المسلم اليقِظ؛ فهم لا يغفلون، ولا تنم فهم؛ لا ينامون،

(١) غريب القرآن لابن قتيبة، ت أحمد صقر، ص٤٦٨.

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٢٨ / ٢٤١ بتصرف.

بل يواصلون المكر والتدبير ليل نهار، فلتجعل عداوتهم نصب عينيك، ولتستحضرها في ذهنك، هم عدوّ لك– يا محمد– فاحذرهم، ولا يغرّنك تبسّطهم في الكلام على وجه التودّد والتقرّب(١).

قال العز بن عبد السلام: "فاحذرهم" أن تثق بقولهم، أو احذر ممايلتهم لأعدائك وتخذيلهم لأصحابك"(٢).

﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾: أي: لعنهم الله، وهي كلمة ذم، وتوبيخ، وقد تقول العرب: قاتله الله، ما أشعره! فيضعونه موضع التعجب. وقيل: معنى قاتلهم الله: أي: أحلهم محل من قاتله عدو قاهر؛ لأن الله تعالى قاهر لكل معاند، و(أنى يؤفكون). أي: يكذبون(٣).

وفيها دعوةٌ عليهم بالهلاك والخسران، وبيانٌ وإعلانٌ عن حربِ الله لهم، فكم رفضوا الحقيقة، ورفضوها حتى مع وضوح الأدلة! وكم قلبوا الحقائق والمفاهيم وزخرفوا الأكاذيب! وكم خدعوا أنفسهم، وخدعوا الآخرين معهم.

الموضوع الثاني: استكبار المنافقين وعنادهم:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ يَسۡتَغۡفِرۡ لَكُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوۡاْ رُءُوسَهُمۡ وَرَأَيۡتَهُمۡ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ ٥ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٦﴾[المنافقون: ٥-٦].

ما زال السياقُ القرآني يفضحُ لنا كوامن المنافقين، ويكشفُ عُوارهم، ويصفُ طباعهم، ومنها ما جبلت عليه نفوسهم من مكابرة، وجحود، وتآمرٍ، وصدودٍ.

(١) لطائف الإشارات = تفسير القشيري، ٣/ ٥٨٩.

(٢) تفسير العز بن عبد السلام، ٣/ ٣٢١

(٣) تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن، ١٨/ ١٢٦.

لا يزال السياق القرآني يعرض لنا ما خفي في أنفس المنافقين، ويكشف عن عللهم، ويصف شخصياتهم، بما في ذلك الغطرسة، والجحود، والتآمر، والصمود التي جلبت لهم الخسران، والبوار في الدنيا والآخرة.

ويظهر ذلك في حين دعاهم النبي –صلى الله عليه وسلم– باللين والرفق إلى أن يستغفر لهم عما بدر منهم، فنجدهم يولون معرضين في استكبار ونفور، وقد أظهروا ذلك في تعبير بالغ عن حالهم حينما لووا رؤوسهم وأعناقهم.

«وذلك أنَّه لما نزلت هذا الآيات قيل لعبد الله بن أبيّ: لقد نزلت فيك آيٌ شدادٌ، فاذهب إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يستغفر لك، فلوى رأسه، وأعرض بوجهه؛ إظهارًا للكراهة، فهم يُعرضون عمَّا دُعوا إليه وهم مستكبرون، لا يستغفرون، ثمَّ أخبر أنَّ استغفار الرَّسول –عليه السَّلام– لا ينفعهم؛ لفسقهم، وكفرهم[١].

قال القرطبي: "لما نزل القرآن بصفتهم مشى إليهم عشائرهم، وقالوا: افتضحتم بالنفاق، فتوبوا إلى رسول الله من النفاق، واطلبوا أن يستغفر لكم، فلووا رؤوسهم؛ استهزاء، وإباء"[٢]، وإعراضًا، وازدراءً، وإصرارًا، ورفضًا للاستغفار، وإعلانًا لثباتهم على النفاق، وإيذانًا لتماديهم في الغيّ، ورضاءً بصنيعهم الشنيع.

ومهما حاول المنافقون إِخفاء ما تُكِنُّ ضمائرهم من الحقد الدفين والبغض للمسلمين فلا بد أن تظهر منهم بوادر الحقد، وتفوح رائحةُ الحسد.

فقد كانت الأفعال الشنيعة تصدر عنهم فإذا افتضح أمرهم لم يبادروا إلى الاعتذار عنها، والتوبة منها، بل كابروا، وجادلوا، متذرعين بالكذب والتضليل، والخداع والتدليس، والإنكار والتلبيس، فإذا طُلِبَ منهم الاعتذار ودُعُوا إلى الاستغفارً عطفوا رؤوسهم، ولووا أعناقهم؛ تكبرًا، وإعراضًا عن الاعتذار إِلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– حتى يستغفر لهم عما حصل منهم من النفاق.

---

(١) الوجيز، للواحدي، ص١٠٩٩.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ١٨ / ١٢٧.

لكنهم –على أية حال– مع بقائهم على كفرهم، ومهما تظاهروا بخلاف بواطنهم؛ فليسوا أهلًا للمغفرة، ولو استغفر لهم خير الخلق وحبيبُ الحق –صلى الله عليه وسلم؛ فإنهم قومٌ فاسقون، خرجوا عن الطاعة، وبارزوا بالعصيان، وأشاعوا الكذب والبهتان.

قال –تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٦﴾[المنافقون: ٦].

قال الطبري:" نزلت هذه الآية بعد الآية التي في سورة التوبة: ﴿إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ﴾ [التوبة: ٨]، فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم: "**زيادة على سبعين مرّة**، فأنزل الله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ﴾"(١).

الموضوع الثالث: الدسائس والمكائد للمؤمنين:

قال –تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ ٧ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ٨﴾ [المنافقون: ٧–٨].

ولا يزال السياق يكشف عن كراهيتهم العميقة، ومؤامراتهم الدنيئة، ومكائدهم الخبيثة التي يسعون من خلالها إلى تعطيل الصفوف، وزعزعة استقرار المجتمع، وتجفيف المصادر، وتطويق المد الإسلامي، وتقويض شجرة الدعوة، وتدمير طليعة النصر، وتضييق الخناق على الدعاة والمصلحين، وفك الارتباط بين الناس والعلماء المخلصين، ونفيهم من البلدان، وإجبارهم على مفارقة الأوطان.

(١) تفسير الطبري = جامع البيان، ط دار التربية والتراث، ٢٣/ ٤٠٠.

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ﴾. أي: لا تطعموا محمدًا وأصحابه؛ حتى تصيبهم مجاعة، فيتركوا نبيهم، وهذا قول عبد الله ابن أُبي لأصحابه المنافقين: لا تنفقوا على محمد وأصحابه حتى يدعوه، فإنكم لولا أنكم تنفقون عليهم لتركوه، وَأجَلوا عنه(١).

ففي الآية الكريمة دعوة وتحريض من المنافقين بقطع الإنفاق؛ لفضّ الناسِ عن دعوة الحق، وكأن الرزقَ بأيديهم!

﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾. (أي): جميع ما فيهما، وبيده مفاتيح خزائن كل شيء، لا يعطي أحد أحدًا شيئًا إلا بإذنه، ولا يمنع أحد أحدًا شيئًا إلا بإذنه(٢).

يقول القشيري:"كأنهم مربوطون بالأسباب، محجوبون عن شهود التقدير، غير متحقّين بتصريف الأيام، فأنطقهم بما خامر قلوبهم من تمنّى انطفاء نور رسول الله، وانتكاث شملهم، فتواصوا فيما بينهم بقولهم: «لا تُنْفِقُوا عَلى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ»، فقال –تعالى: «وَلِلَّهِ خَزائِنُ السَّماواتِ ... » (٣).

﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ﴾، القائل لهذه المقالة هو عبد الله بن أبيّ رأس المنافقين، وعنى بالأعزّ: نفسه، ومن معه، وبالأذلّ: رسول الله –صلى الله عليه وسلم، ومن معه، ومراده بالرجوع: رجوعهم من تلك الغزوة، وإنما أسند القول إلى المنافقين مع كون القائل فردٌ من أفرادهم، وهو عبد الله بن أبيّ؛ لكونه كان رئيسهم وصاحب أمرهم، وهم راضون بما يقوله، سامعون له، مطيعون(٤).

(١) تفسير الطبري = جامع البيان، ط دار التربية والتراث، ٢٣/ ٤٠١.
(٢) الهداية الى بلوغ النهاية، ١٢/ ٧٤٨٧.
(٣) لطائف الإشارات = تفسير القشيري، ٣/ ٥٨٩.
(٤) فتح القدير، للشوكاني، ٥/ ٢٧٧.

﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾. أي: لله عزّ الإلهية، وللرسول عزّ النبوّة، وللمؤمنين عزّ الولاية، وجميع ذلك لله؛ فعزّة القديم صفته، وعزّ الرسول وعزّ المؤمنين له فعلا، ومنّة، وفضلا؛ فإذن لله العزّة جميعا(١).

وقال الخازن: "فعزة الله –تعالى– قهره، وغلبته على من دونه، وعزة رسوله – صلى الله عليه وسلم– إظهار دينه على الأديان كلها، وعزة المؤمنين نصر الله إياهم على أعدائهم"(٢).

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾، وذلك من فرط جهلهم وغرورهم، فيهذون ما يهذون. أي: لا يعلمون أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، وأن العاقبة للمتقين، وأن الله ينصر من ينصره، كما قال: {كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي}، وسننه –تعالى– لا تبديل فيها، ولا تغيير، وهو –لا بدّ– جاعل عباده المؤمنين هم الأعزاء –كما وعد، وجاعل مخالفيه هم الأذلاء(٣).

هدايات الآيات:

- بيان أن الكذب ما خالف الاعتقاد، وإن طابق الواقع.
- التحذير من الاستمرار على المعصية؛ فإنه يوجب الطبع على القلب، ويحرم صاحبه الهداية.
- التحذير من الاغترار بالمظاهر، كحسن الهندام، وفصاحة اللسان.
- الكشف عن نفسية الخائن، والظالم، والمجرم، وهو الخوف، والتخوف من كل صوت، أو كلمة؛ خشية أن يكون ذلك بيانًا لحالهم، وكشفًا لجرائمهم(٤).
- لا ينفع الاستغفار للكافر، ولا الصلاة عليه بحال.

---

(١) لطائف الإشارات = تفسير القشيري، ٣/ ٥٩٠.

(٢) لباب التأويل فى معاني التنزيل، للإمام الخازن، ٦ / ١٠٧.

(٣) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، ٢٩/ ٣٣٦.

(٤) أيسر التفاسير، للجزائري، ٥/ ٣٥٥.

- ذم الإعراض والاستكبار عن التوبة والاستغفار، فمن قيل له: استغفر الله؛ فليستغفر، ولا يتكبر، بل عليه أن يقول: استغفر الله، أو: اللهم، اغفر لي.
- مصادر الرزق كلها بيد الله –تعالى؛ فليطلب الرزق بطاعة الله ورسوله، لا بمعصيتهما.
- العزة الحقّ لله، ولرسوله، وللمؤمنين؛ لذا يجب على المؤمن ألا يذل، ولا يهون لكافر(١).
- جوازُ الدعاءِ على أعداء الدين بالهلاك والخسران.
- جهلُ المنافقين، وسفههم، وغياب عقولهم، فهم لا يفقهون، ولا يعلمون، وقد هوى بهم الجهلُ في هذه الدركاتِ.

المقطع الثاني: توجيهاتٌ للمؤمنين:

تحصينٌ من النفاق والمنافقين:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١١﴾[المنافقون: ٩-١١].

المناسبة:

عندما ذم الله –تعالى– صفات المنافقين دعا عباده المخلصين إلى الحذر من أسباب النفاق ونهايته الأليمة، ومن أخطر هذه الأسباب أن يتوقفوا عن ذكر الله –سبحانه وتعالى– بمحبة المال والولد، وتقديم محبتهم على طاعة الله.

فمع ضرورة أن يكون المؤمن حذرا من المنافقين ومكائدهم يجب عليه أن يحرص على عدم الوقوع في صفاتهم، وتشبهه بهم من حيث لا يعرف؛ ومن ثم جاء الأمر للإنفاق في وجوه الخير من أجل الله، ومصالح المسلمين، وإغاثة

(١) أيسر التفاسير، للجزائري، ٥/ ٣٥٨.

المنكوبين، وإطعام الجياع، وكسوة العراة؛ لمواجهة مكائد الكفار، ومواجهة مؤامراتهم، ومخالفة أمرهم بترك الإنفاق على المسلمين الفقراء، وزاد في الترغيب بالرضا منهم باليسير مما هو كله له بقوله: ﴿مِن مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾. أي: برؤية دلائله، وأماراته[1].

التفسير الإجمالي:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾: لما ذكر قبائح المنافقين نهى المؤمنين عن التشبه بهم في الاغترار بالأموال والأولاد، ومعنى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾. أي: لا تشغلكم أيها المؤمنون الأموال والأولاد عن أداء الفرائض في مواقيتها، كما شغلت المنافقين، فإن من شغله عن ذكر الله وخدمته عرض من عروض الدنيا شيئًا لشهوته، ووجد في عبادته نشاطًا؛ فهو مخدوع، إلا الذي يأخذها الله –عزَّ وجلَّ [2].

قال أبو حيان: "أي: لا تشغلكم أموالكم بالسعي في نمائها، والتلذذ بجمعها، ولا أولادكم بسروركم بهم، وبالنظر في مصالحهم، عن ذكر الله، وهو عام في الصلاة، والتسبيح، والتحميد، وسائر الطاعات"[3].

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾. أي: ومن تشغله الدنيا عن طاعة الله وعبادته فأولئك هم الكاملون في الخسران، حيث آثروا الحقير الفاني على العظيم الباقي، وفضلوا العاجل على الآجل [4].

﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾. أي: وأنفقوا في مرضاة الله من بعض ما أعطيناكم وتفضلنا به عليكم من الأموال، ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾، يعني: المنافق،

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٢٠/ ٩٤.

(٢) تفسير التستري، ص١٦٨.

(٣) البحر المحيط للإمام أبي حيان، ١٨٤/١٠.

(٤) صفوة التفاسير، ٣/ ٣٦٥.

فيسأل الرجعة عند الموت إلى الدنيا، ليزكي ماله، ويعمل فيها بأمر الله- عز وجل[١].

أي: قبل أن يحلَّ الموتُ بالإنسان، وينزل بساحته، فيقول حين الاحتضار، وعند معاينة الملائكة: ﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾: يقول عند تيقنه الموت: يا رب هلا أمهلتني، وأخرت موتي إلى زمنٍ قليل!! ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[المنافقون: ١٠]. أي فأتصدق، وأحسن عملي، وأصبح تقيًا، صالحًا[٢].

قال ابن كثير: كل مفرط يندم عند الاحتضار، ويسأل طول المدة؛ ليستدرك ما فات، ولكن هيهات![٣].

﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾. أي: ولن يمهل الله أحدًا أيًا كان إذا انتهى أجله، ولن يزيد في عمره، وفيه تحريضٌ على المبادرة بأعمال الطاعات؛ حذرًا أن يجيء الأجل، وقد فرَّط، ولم يستعدَّ للقاء ربه.

﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾. أي: مطلعٌ، وعالمٌ بأعمالكم من خير أو شر، ومجازيكم عليها[٤].

الهدايات المستنبطة:

- حرمة التشاغل بالمال والولد مع تضييع بعض الفرائض والواجبات، فطاعة الله -تعالى- هي الهدف الحقيقي للمسلم، لا ينبغي أَن يشغله عنه شاغل.
- حرمة تأخير الحج مع القدرة على أدائه تسويفًا، وتماطلًا، مع الإيمان بفرضيته.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان، ٤/ ٣٤١.

(٢) صفوة التفاسير، ٣/ ٣٦٥.

(٣) تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه – الدرة، ٩/ ٧٣١.

(٤) صفوة التفاسير، ٣/ ٣٦٦.

- وجوب الزكاة، والترغيب في الصدقات الخاصة، كصدقة الجهاد، والعامة على الفقراء والمساكين.
- تقرير عقيدة البعث والجزاء [١].
- خزائن الله ملأى، ويداه مبسوطتان، فهو الخالق الرازق، وهو القابض الباسط، ومن أيقن بذلك تعلق قلبه بالله رغبة، وطمعا، ورجاءً، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– قَالَ: "**يَدُ اللَّهِ مَلْأَى، لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ، وَقَالَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَبِيَدِهِ الْأُخْرَى الْمِيزَانُ، يَخْفِضُ، وَيَرْفَعُ**"[٢].
- تحذير المؤمنين من الوقوع فيما وقع فيه المنافقون من الانشغال بالدنيا، والغفلة عن ذكر الله، وغيره من الصفات السيئة، والقبيح من الأفعال؛ فيجب على كل مؤمن أن يحذر النفاق، وأن يكون بريئا من أماراته، وأن يلجأ إليه – سبحانه وتعالى.

وفي الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم– قال: "**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**"[٣].

قال القرطبي: إنما هذا القول من النبي –صلى الله عليه وسلم– على سبيل الإنذار للمسلمين، والتحذير لهم أن يعتادوا هذه الخصال؛ شفقة أن تفضي بهم إلى

---

(١) أيسر التفاسير، للجزائري، ٥/ ٣٦٠.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير باب قوله: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾، الحديث رقم (٤٦٨٤)، ٧٣/٦.

(٣) صحيح البخاري كتاب الإيمان، باب: علامة المنافق، حديث (٣٣)، ١٦/١، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: بيان خصال المنافق، رقم (٥٩)، ٥٦/١.

النفاق، وليس المعنى: أن من بدرت منه هذه الخصال من غير اختيار واعتياد أنه منافق(١).

وقَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: "**أَدْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ**"(٢).

وروى الفريابي بسنده عن طريف، قال: قلت للحسن: يا أبا سعيد، إن ناسا يزعمون ألا نفاق، أو لا يخافون النفاق...، فقال: والله لأن أكون أعلم أني بريء من النفاق أحبّ إلي من طِلاعِ الأرض ذهبا (٣).

وروى الفريابي بسنده عن محمد بن سليم -وهو أبو هلال- قال: سأل أبانُ الحسنَ: فقال: هل تخاف النفاق؟ قال: وما يؤمنني وقد خاف عمر بن الخطابﷺ؟!(٤).

وروى الفريابي بسنده عن الجعد أبي عثمان، قال: قلت لأبي رجاء العطاردي: هل أدركتَ ممن أدركتَ من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يخشون النفاق؟ وكان قد أدرك عمر -رضي الله عنه- قال: نعم، إني أدركت منهم -بحمد الله- صدرا حسنا، نعم، شديدا، نعم، شديدا(٥). أي: يخافون النفاق خوفا شديدا.

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ١٨ / ١٢٢.

(٢) صحيح البخاري، كِتَاب الْإِيمَانِ، بَاب خَوْفِ الْمُؤْمِنِ مِنْ أَنْ يَحْبَطَ عَمَلُهُ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ، ١٨/١.

(٣) صفة النفاق وذم المنافقين، للفريابي، رقم ٧٩.

(٤) المصدر السابق، رقم ٧٨.

(٥) صفة النفاق وذم المنافقين، للفريابي، رقم ٧٥.

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث الذي قمت فيه بمحاولة تفسير سورة (المنافقون) تفسيرًا موضوعيًا يطيب لي أن أبين عددًا من النتائج التي توصلت إليها، وهي على النحو التالي:

- يعد النفاق –على الرغم من إظهار الإيمان للعامة– سببا من أسباب الخلود في النار، وذلك بسبب عدم مغفرة الله للمنافقين على سوء صنيعهم بالإسلام والمسلمين.
- ذم الله – تعالى– النفاق والمنافقين في سورة خصصت من أجل إبراز صفاتهم الجسمانية والخلقية.
- التحذير الوارد من اتباع المنافقين، والسير بحسب رغباتهم، قد يوقع المؤمنين في أمر محظور، وهو موالاة المؤمنين للمنافقين؛ فيصيرون إلى نفس المصير.
- تشتمل سورة (المنافقون) على الكثير من الهدايات المستنبطة من الآيات، وهذا دليل على عظمة القرآن الكريم في بلاغته ونظمه.

فهرس المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

١- **أسباب نزول القرآن**، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨هـ)، المحقق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ.

٢- **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير** (ومعه حاشية نهر الخير)، جابر بن موسى ابن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٣- **البحر المحيط في التفسير**، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠ هـ.

٤- **التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»**، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ.

٥- **تفسير التستري**، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري (ت ٢٨٣هـ)، جمعها: أبو بكر محمد البلدي، المحقق: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون / دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ .

٦- **تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، محمد بن جرير بن يزيد ابن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات

الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

٧- **تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)**، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (ت ٦٦٠هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٨- **تفسير القرآن العظيم**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة الأولى – ١٤١٩هـ.

٩- **تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه**، محمد علي طه الدرة، دار ابن كثير – دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

١٠- **تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن**، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.

١١- **تفسير المراغي**، أحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.

١٢- **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

١٣- **تفسير مقاتل بن سليمان**، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت ١٥٠هـ)، المحقق: عبد الله محمود شحاتة، دار إحياء التراث – بيروت، الطبعة الأولى – ١٤٢٣هـ.

١٤- **الجامع الصحيح «صحيح مسلم»** (طبعة مصححة ومقابلة على عدة مخطوطات ونسخ معتمدة)، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، المحقق: أحمد بن رفعت بن عثمان حلمي القره حصاري – محمد عزت بن عثمان الزعفران بليوي – أبو نعمة الله محمد شكري بن حسن الأنقروي، دار الطباعة العامرة – تركيا، ١٣٣٤هـ.

١٥- **صحيح البخاري**، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري الجعفي، تحقيق: جماعة من العلماء، الطبعة السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١هـ، بأمر السلطان عبد الحميد الثاني، الطبعة الأولى عام ١٤٢٢هـ، لدى دار طوق النجاة– بيروت.

١٦- **صفة النفاق وذم المنافقين**، أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المُسْتَفاض الفِرْيابِي (ت ٣٠١هـ)، شرحه وحققه وعلق عليه: أبو عبد الرحمن المصري الأثري، دار الصحابة للتراث، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

١٧- **صفوة التفاسير**، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

١٨- **غريب القرآن**، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، المحقق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م.

١٩- **فتح القدير**، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة الأولى - ١٤١٤هـ.

٢٠- **فنون الأفنان في عيون علوم القرآن**، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ) دار البشائر - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

٢١- **لباب التأويل في معاني التنزيل**، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت ٧٤١هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٢٢- **لطائف الإشارات = تفسير القشيري**، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت ٤٦٥هـ)، المحقق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، الطبعة الثالثة.

٢٣- **المصنف**، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي (ت ٢٣٥هـ)، المحقق: سعد بن ناصر بن عبد العزيز أبو حبيب الشثري، تقديم: ناصر بن عبد العزيز أبو حبيب الشثري، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥م.

٢٤- **المنافقون في القرآن الكريم**، د. عبد العزيز عبد الله الحميدي، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

٢٥- **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٢٦- **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه**، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت ٤٣٧هـ)، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي- جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨م.

٢٧- **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.